التحليل الدلالي لمصطلح الزمن في الشعر العربي

أبو الفَتْحِ البُسْتِي (ت ٤٠٠ هـ) أنموذجاً

أ.م.د. علي عبد الحسين جبير

جامعة القادسية / كلية التربية/ قسم اللغة العربية

ali.jbear@qu.edu.iq

تأريخ الطلب: ٣٠/ ١/ ٢٠٢٢ تأريخ القبول ١٧ / ٢ / ٢٠٢٢

الملخص : لقد عمدَ الشعراءُ عموماً إلى وسائل وتقنيات إبداعية تعينهم في التعبير عن موضوعاتهم وأغراضهم الشعرية وعن خلجاتهم الداخلية ، ومن هذه الأساليب أساليب الاستعانة بألفاظ الزمن ، إذْ وردتْ بشكلٍ فاعلٍ في أشعارِ أبي الفتحِ البُستي ، مما يكشفُ لنا عن الثقافةِ العاليةِ التي يمتلكها هذا الشاعرُ بقيمةِ الزمنِ ، ودورِهِ الفاعلِ في التعبيرِ والتصويرِ ، وقد كشفت الدراسةُ عن أكثرِ الألفاظِ وروداً في شعرِهِ ، وهي ألفاظُ الدَّهرِ والزمانِ والأيامِ والليالي والشبابِ والشيبِ وغيرها من الألفاظ ، وقد أفادتْ هذهِ الدوالُ في بناءِ النصوصِ بناءً جمالياً ودلالياً مميزاً ينمُ عن براعةٍ في الاستعمال .

الكلمات المفتاحية : شعرُ البُستي ، الزمنُ ، الدلالةُ .

The abstract

The poetries have been take general in Arabic literature in to means and techniques creative private in expressing about subjects. Their stuff poetry and inside their moods , in from this styles , style recourse pronunciation in this time, if it comes subject in poetry in Abu – AL-Fatah AL-Busty , that he find out for us about the high

culture that has this poet in time value and works subject in expressing and pictures , then find out the study about more pronunciation that it comes in this poetry , this pronunciation is ages , times ,days , nights , young and old and another pronunciation , may advantages this tools in the built these texts and gives beautiful and guide brilliant grow about proficiency in uses and employment and performance.

Keywords: Al-Busti's poetry, time, significance.

المقدَّمة :

لقد أهتم الشعراءُ قديماً وحديثاً بقضية الزمن وألفاظهِ في أنساقهم الشعرية لاسيِّما في العصر العباسي ،إذْ أعتمدَ عليهِ جُلُّ الشعراءِ ومنهم شاعِرُنا أبو الفتح البُستي ، حيث تعددتْ مفرداتُهُ ومرادفاتُهُ ، بل كانَ أحدَ الروافد المهمة والمميزة لمعجمهِ الشعري ، وسياقاتهِ الإبداعية ، إذْ استطاع من خلالهِ التعبيرَ عن انفعالاتهِ وكوامنهِ ، والإفصاحِ عن جوانحِهِ وأحاسيسهِ الداخلية.

ومن خلالِ الاستقراء والرصدِ والإحصاءِ لشعرِ أبي الفتحِ البُستي ، وحسبِ نسبةِ الورودِ لألفاظِ الزمانِ ، قسمنا البحثَ إلى ما يأتي :

١-الدَّهرُ .

٢-الزمانُ .

٣- الليلُ والأيامُ .

٤- الشبابُ والشيِّبُ .

٥- الغدُ والفجرُ والربيعُ والشتاءُ .

٦- الحشرُ وليلةُ القدرِ والوعدُ والوعيدُ .

وقبلَ الخوضِ في مفرداتِ ودوالِ الزَّمَنِ ، نستعرض ألفاظ الزمانِ من خلالِ الجدول الآتي :

ت	دال الزمن	نسبة الورود
1-	الدهر	76
2-	الزمان	59
3-	الأيام	44
4-	الليل	31
5-	الغد	14
6-	أيام الشباب والشيب	14
7-	الضحى	11
8-	لحظة الموت	9
9-	النهار	8
10-	وقت الدُّجى	7
11-	الصبح	5
12-	الوعد	4
13-	الوعيد	4
15-	سنة	3
16-	ليلة القدر	3
17-	وقت الغداء	3
18-	العصر	3
19-	امس	3
20-	أوقات	3
21-	يوم الحشر	2
22-	ساعة	2
23-	الفجر	2
24-	أسبوع	1
25-	يوم المعاد	1
26-	المساء	1
27-	وقت الغروب	1
28-	ساعة المنية	1
29-	لمحة	1
30-	وقت الربيع	1
31-	وقت الشتاء	1

نلاحظ من خلال الجدول أعلاه نسبة ورود ألفاظ الزمن في شعر أبي الفتح البُستي إذْ تصدر الدهر والزمان والأيام والليل رأسَ القائمة ، وهذا يدل على الأهمية التي تنالها هذهِ الدوالُ في فكرِ ووجدانِ الشاعر .

وسنتناول هذه الدوال وعلى الشكل الآتي:

أولاً : الدَّهرُ : ويعدُّ الدهر رمزاً وملمحاً سيميائياً ودلالةً على القهر والظلم والعذاب والخديعةِ والمكر للشاعرِ، وأنَّهُ غير مأمونِ الجانبِ ، وعلى الإنسان أن يتوخى الحيطةَ والحذرَ مِنهُ ، وقد ورد بهذه الصيغِ في جُلِّ الأغراض الشعرية ، ومنهُ يقول في غرض المدحِ (البُستي ،١٩٨٩م ، ص ٢٢) :

أتيتُكَ ، أشكو رَيْبَ دَهريَ ، فانتصر
لعَبدك مِنهُ ، واسْمَعِ البَثَّ والشَّكوى

ولا ترضَ مِنهُ ظُلْمَ عبـدِكَ ، إنَّهُ
إذا ظلَمَ الَمملوكَ ، كرَّ عـلى المَوْلى

يشكو الشاعر ماحلَّ بهِ للأمير ، ويطلبُ منهُ النُّصرةَ فيما أصابهُ من خذلانٍ ، ويحذرُ في الوقتِ نفسهِ من أنَّ الدهرَ لا أمانَ لهُ وعندما ينتهي من العبد (الشاعر) سيكرُ عليك أيُّها الأمير .

ومن مدحِ الأمير–أيضاً– مدحَهُ بحُسنِ الجوارِ(البُستي ،مصدرسابق ، ص ٢٥٢):

أجِرْني من دَهرٍ أساءَ جِوارَهُ

ولسْتَ ترى كالدَّهرِ سُوءَ جِوارِ

فرَسْمُكَ جارٍ مُذْ عَرفْتُكَ إنَّهُ

إذا جارَ دَهْرٌ إنَّ عَونَكَ بي جارِ

هنا يستعمل أبو الفتحِ البُستي أسلوبَ المجاز من جعل الدهر إنساناً مجاوراً لهُ ، وهذا الجارُ سيئٌ ، ويطلب يدَ العونِ من الخليفةِ للخلاصِ من عذاباتِ وجورِ هذا الدَّهرِ من العطاءِ المستمرِ المتدفقِ من الهباتِ والهدايا .

أمَّا في غرض الحكمةِ يقولُ (البُستي ، مصدر سابق نفسه، ص٢٩) :

الـدَّهرُ خَدَّاعَـةٌ خَـلُوبُ وَصـفْـوُهُ بـالقَـذى مَشُـوبُ

وأكـثُر النّـاسِ – فـاجْتَنِبْهُمْ – قـوالِبٌ مـالّها قـلـوبُ

فـلا تَـغُرَّنّكَ اللّيالي فّبَـرقُـها الخلب الكـذوب

يحذرُ أبو الفتحِ البُستي من مكرِ وخديعةِ الدَّهرِ، ويدعو إلى عدم مخالطةِ النَّاسِ ، لانَّ أكثرهم لا يملكون العقلَ، إذْ كنَّى عن العقول بالقلوبِ ، ويقترن (الليل) بالدَّهر في هذا النَّصِّ الشعري ، ويأخذُ صفاتَهُ من كذبِ البرقِ اللامعِ فيهِ ، فهو مخادعٌ – أيضاً–فهو مجمعُ للهمومِ والآلامِ والعذابِ.

ومن غرض الهجاءِ قوْلُهُ(البُستي ، مصدر سابق ، ص٣٩) . :

الـدَّهرُ سِلْمٌ ، لِكُـلِّ نـذلٍ لِكَّنِـه ، للـكِرامِ حَـرْبُ

ومن الهجاء –أيضاَ –(البُستي ، مصدر سابق ، ص١٥٣) .:

لا تَعْجَبَنَّ لدَهرٍ ظَلَّ في صَبَبٍ أشرافُهُ ، وعَلا في أوجِهِ السَّفِلُ

يلاحظُ القارئ في النَّصْين أنَّ الشاعرَ بدا ساخطاً هاجياً للدهرِ من أنَّهُ يرفعُ الأذِلاءَ ويُنزلُ الكِرامَ ، وهذا طبعٌ دائمٌ متجسدٌ فيهِ . وقال راثياَ الخليفة ناصر الدين (البُستي ، مصدر سابق ، ص١٤٠) :

لئنْ كَدَّرَ الدَّهرُ الخَؤونُ مشارِبي ومـاتَ أميري نـاصِرُ الدِّينِ والمِلْكِ

فلي من يَقيني بالآلهِ ودينِهِ أميرٌ يَقيني السّوءّ في النِّفْسِ والمِلْكِ

ومِن عُدَدي كَفٌ الأذى ، وقَناعَتي وصَبريَ فـي هَـذا الزَّمانِ ، مِن الهُلْكِ

ويتجلى الدهر بوضوحٍ بوصفهِ بنيةً للخداعِ والمكر، والكرِّ على المحبين والأخلاءِ عندما يعمد إلى انتزاع أرواحِهم ومنهم الأمير ناصرُ الدِّنِ ، فهو يحملُهُ مسؤولية موتهِ ، زيادةً على ذلك فقد أقترن (الزمانُ) في هذا النَّصَّ بالدهرِ وأستلهمَ منهُ كل الصفاتِ السيئةِ من الأذى وغيرهِ . أمَّا في غرض الزُهدِ فيقولُ (البُستي ، مصدر سابق ، ص١٨٧) :

يا عامِراً ، لخَرابِ الدَّهرِ مُجتهداً تاللهِ ! هل لخَرابِ الدَّهرِ عُـــمـرانُ

ويا حَريصاً على الأموالِ يَجمَعُها أنْسِيتَ أنَّ سُرورَ المالِ أحْـــزانُ

وكُنْ على الدَّهرِ مِعوناً لذي أمَلٍ يَرجو نـَداك ، فـإنَّ الحُـرَّ مِعْوانُ

مَنْ يَتَّقِ اللهَ ، يُحْمَدُ في عَواقِبه وَيكفِهِ شَرَّ مَنْ عزَّوا ، ومَـنْ هـانُوا

يتحول الشاعرُ-هنا-إلى غرض الزُهدِ وهو-بالطَّبعِ-قليلٌ جداُ في شعرهِ ، إذْ يدعو إلى الابتعاد عن جمع الأموال والزُهدِ فيها ، لأنَّ الدَّهرَ سيأتي كُلَّ شيء ويقومُ بتخريبهِ ،ولا معمرَ لخرابِ الدَّهرِ إطلاقاً ، وأن يقفَ مع المحتاجين وممن جارَ الدَّهرُ عليهم ، لانَّ هذه الصفةَ صفة مساعدة المحتاجين هي صفةُ الأحرار في هذه الدُّنيا ، كما يدعو إلى التقوى والخوفِ من الله سبحانهُ وتعالى .

ويتحول أبو الفتحِ البُستي من رمزية القهر والخذلانِ من الدَّهرِ إلى رمزية البطولةِ والمواجهةِ بالسلاحِ والتجلُّدِ والصَّبرِ ، وهذا التحول في سيميائية الخطابِ–طبعاً– في غرضَ الفخر فقط ،إذْ يقول مفتخراً بنفسهِ(البُستي ، مصدر سابق ، ص٤٠):

ولمِـا رأيتُ الدَّهرَ فوَّقَ نَبلَـهُ

إلـى كُلّ ذي نُبـلٍ ، وسَـلَّ حِرابَـهُ

تَكودَنْتُ تَعويلاً على مثلِ ما جرى

إذا اعـوَجَّ سِـكِّينٌ فعـوِّجْ قِرابَـهُ

الدَّهرُ–هنا– مقاتلُ ومحارِبٌ لديهِ النِّبالُ والحِرابُ ، وطالما فَوَّقَ وسدد هذه الأسلحة إلى النبلاءِ أمثالي ، فأنا جاهزٌ لمقارعتهِ وعقرِ قِرابهِ ، وهنا تحول من بنية الانهزام إلى بنية المواجهة في الخطابِ الشعري . ومنهُ –أيضاً– (البُستي ، مصدر سابق ، ص٢٥٧) :

نشَأتُ بما عنَيْتُ من نُوَبِ الدهَّرِ

وَعوَّدْتَ نَفسي حَملَ فاقِرَةِ الفَقْرِ

إذا ما بدَتْ للنّاس سوءُ معيشَتي

خَصَفْتُ عَلَيها قانِعاً وَرَقَ الصَّبرِ

يرى القارئ أنَّ الشاعرَ يواجهُ الدَّهرَ وصولاتهِ بالصَّبرِ والتجلُّدِ وهو فخورٌ بذلك .

ثانياً : الزَّمانُ : يأتي دالُ الزمانِ بعد دالِ الدَّهرِ في الاستعمال عند شاعِرنا أبي الفتح البُستي ، وكان يحملُ في أغلبِ صفاتهِ صفاتَ الدَّهرِ من القهرِ والغلبةِ والخُذلان وهذهِ هي الصفةُ العامَّةُ فيهِ ، وقد أعطى صفاتاً أُخرى بحسبِ الغرضِ الواردةِ فيهِ –أيضا–ً سنأتي عليها ، ومن دلالات القهرِ قَوْلُهُ في غرض الهجاءِ (البُستي ،مصدر سابق ، ص٣٨) :

إلى اللهِ أشكُو ، اتِّصـالَ الخُطوبِ

وصَرفَ زَمـانٍ ، بُلينـا بـه

يَهشُّ إلـى النَّبـهِ المستَـذَلِّ

وينبـو عـن السَّيِّـدِ النَّـابِـهِ

يلاحظ القارئ في الأبيات أعلاه أنَّ الزَّمانَ خوَّانٌ يرفعُ الأذلاء ، ويذلُّ الكرماءَ

، ويحطُّ من قدرِ كلِّ عزيزٍ وجليلٍ ، وهو سلطانٌ بائسٌ لا يملكُ عدالةً تُذكرُ .نجد الصورة –هنا– تحركُ العاطفةَ ، فتنتفض النَّفسُ بالحيويةِ والقوةِ (محمد، ١٩٩٠م ، ص٤٣) .

ومنهُ يقولُ في غرض الشكوى من الصداقةِ والصديقِ (البُستي ،مصدرسابق ، ص١٣٨) :

عفاءٌ على هذا الزَّمانِ ، فإنّهُ
زَمانُ عُقوقٍ ، لا زَمانُ حُقوقِ

فكُلُّ رَفيقٍ فيه غَيرُ مُرفقٍ
وكُلُّ صَديقٍ فيهِ غَيرُ صَدوقِ

نلاحظ انَّ أبا الفتحِ البُستي يقولُ جازماً متذمِّراً من أنَّ هذا الزمانَ هو زمان قلّةِ الوفاءِ، وزمن عقوق الأصدقاء ، ويظهرُ محبطاً بائساً .ويحاول الشاعرُ أن يستفيد من الصور الشعرية في بيان حقائق الأشياء(ناصف ،١٩٨٣ م ، ص٨).

ويبدأ التحول في البنية الدلالية للزمنِ عندما يفتخرُ بنفسهِ ، فكل شيء يتقهقرُ امامَ عزيمة وإرادة الشاعر ، فقد لاحظنا الأنا المتعالية عندهُ في غرضِ الفخرِ في دالي الدَّهرِ والزمانِ ، ومنهُ يقولُ(البُستي ،مصدر سابق ، ص١٧٦) :

وإذا كُنتُ للكِرامِ غُلاماً فأنا
الحُرُّ والزَّمانُ غُلامي

يقولُ : أنا مطيعٌ للكرامِ ، ويقصدُ الخلفاءَ والوزراءَ والولاةَ ، ولكنَّيّ حُرٌ والزمانُ غلامي وطائعٌ لي ، وهنا تجلٍّ واضحٍ للكبرياءِ والكرامةِ المتعاليةِ، أي إنَّ الزمانَ رغمَ قوتهِ وجبروتهِ غيرَ قادرٍ على صرعي ومجابهتي ، فهو منصاعٌ لي ورهنَ إرادتي .

ويمدحُ قائلاً (البُستي،مصدر سابق ، ص١٧٩) :

أراني اللهُ وجهَكَ كُلَّ يَومٍ
لأُسعَدَ بالأمانِ وبالأماني

فوجهُكَ حينَ ألحظُهُ بطَرْفي
يُريني البِشْرَ في وَجهِ الزَّمانِ

يا مَنْ غدا حُسْناً لِوجهِ زمانِهِ
فقالَ الأمُردانِ : الأمُردانِ

ويتحول الزمانُ في النصِّ أعلاه إلى رمزٍ من رموزِ السعادةِ والإشراقِ ، وذلك بمجردِ أنْ انعكس فيهِ وجهُ الخليفةِ ، ونلاحظ–هنا– التحول السيميائي للخطاب الشعري من التشاؤم إلى التفاؤل في التعاطي مع لفظ الزمان وحسب النسق الشعري الوارد فيهِ

ومنهُ قوْلُهُ (البُستي ، مصدر سابق ، ص١٨٠) :

أَوْصِ الزَّمـانَ ، فإنَّهُ لكَ خادِمٌ بصيـانَتي ، فـي ضِـمنِـهِ وضَمانِـهِ

الزمانُ خادمٌ للأمير، وهو إنسانٌ يعمل بإمرة الخليفة ، ويدعو الأمير إلى إمرةِ هذا الخادمَ أن يعتني بهِ ، فالشاعر كانَ مميزاً في توظيف الزمانِ خدمةً للغرض الشعري الواردة فيه ، وجاء ذلك في بنية مجازية استعارية مؤثرة وجميلة .

وتستمر تحولات الزمن عن القهر لرموزٍ ودلالاتٍ أخرى ، حيث يقولُ (البُستي ، مصدر السابق ، ص٢١٥) :

مَـن شَكا قَسْوَةَ الزَّمـانِ ، فإنِّي شـاكِـرٌ رأفَـةَ الزَّمـانِ عَـلَيَّـا

إذ أرَتْني رِضـاكَ عَنِّي ، وإقبا لَـكَ ، بـالبِرِّ والتَّـحَفِّي ، عَلَـيَّا

يلاحظ القارئ الانقلاب الواضح لدلالة الزمان إلى دلالة الرأفةِ والرحمة في تحولٍ مفاجئ في السياق الشعري عند شاعِرُنا البُستي وقد وصل حدَّ الرِّضا إلى درجةِ الشكرِ على هذه النعمة ، وذلك لمجرد أنْ ارتبط الزمانُ بالخليفةِ ، ومن ثمَّ فإنَّ موجهات الدوال والرموز هي الأنساق الواردة فيهِ .

ثالثاً : الليلُ والأيامُ : أمَّا هذه الدوال الدالةُ على الزمن فقد تنوعت بحسب السياق الشعري المنساقةُ فيه ، ومناسبةِ القولِ واتجاهِ الشاعر النفسيِّ(العلوي،١٩٨٢،ص١٢،–وأيضاً– القيرواني ،١٩٧٢،ص١٧٤/٢) ، فنرى الليل يتقلب بين الجمال من جهةٍ وبين الألم العذابِ والثقل من جهة أُخرى ،

إذْ نراهُ يقولُ في موضعٍ متغزلاً (البُستي ،مصدر سابق ، ص١٠١) :

وليلٍ ، كأصداغِ الحبيبِ ، قطعْتُهُ بورَدٍ كخدَّيْهِ ، وجامِ عُقار

فالليلُ يدلُّ على الجمالِ والألقِ ، لأنَّ الحبيبةَ حاضرةٌ فيهِ ، وهنا –بالطبعِ– تشبيهٌ مقلوبٌ غايتهُ خلقُ المفاجأةِ لدى القراءِ والمتلقين .فقد شبهَ الليل بأصداغِ الحبيبةِ . ويقولُ متغزلاً –أيضاً–(البُستي ، مصدر سابق ، ص٢٦١):

عَذراءُ يضحَكُ من تَبَسُّمِها دُجى اللَّيلِ العَبوسِ

فالحبيبة العذراء تحوّل الليل العابس إلى ضاحكٍ مستبشرٍ ، وقد حوَّلَ الشاعرُ التشكيل الصوريَّ إلى بناءٍ لغويٍّ مؤثرٍ (عبد الرحمن ، ١٩٨٢م ، ص٦٥) .

أماَّ عندما يشكو يتحولُ الليلُ إلى رمزٍ للألم والعذابِ ، إذْ يقولُ (البُستي ،مصدر سابق ،ص٢١٦):

تَوَقَّ مِنَ اللَّيلي ، واجْتَنِبها فإنَّ نَعِيمَها دُونَ الرَّزايا

هُما غَرْسانِ : لَيْلٌ أو نَهارٌ ثِمارُهُما ، البَلايا لِلبَرايا

فالليلُ والنهارُ هما رمزان للعذابِ عند الشاعرِ ، فأبو الفتح البُستي بدا متشائماً كعادتهِ من الزمن في هذا النصِّ الهجائي .

أمَّا عندم يفتخرُ تنقلبُ الموازين النَّصِّية عند الشاعر، ليظهر–لنا– أسداً بطلاً مقارعاً للأيامِ ، وأنَّهُ قد تدرعَ لِباسَهُ لتلكَ الأيام البائسة ؛إذْ يقولُ (البُستي ،مصدر سابق ،ص١١٠) :

فأنِّيَ ضِرغامُ يومِ الهياجِ إذا ما دّرَعْتُ لِباسي لباسي

ومنهُ –أيضاً–(البُستي ،مصدر سابق ، ص٨٨) :

يامَنْ تبجَّحَ بالدُّنيا وزُخرفِها ، كُن من صُروفِ لياليها ، على حَذَرِ

ولا يَغُرَّكَ عَيشٌ ، إن صَفا وعَفا فالَمرءُ من غَرَرِ الأيّامِ ، في غَــرّرِ

فالقارئ يلاحظ في المقطع الشعري أعلاه تحذير الشاعر من الأيامِ، وأنَّها لا تثبتُ على حالٍ لأحدٍ وأنها متقلبةٌ دائماً، قاصِداً بثَّ الحكمةِ في نصوصهِ الإبداعيةِ .

رابعاً : الشبابُ والشيِّبُ : أخذتْ أوقاتُ وأزمنةُ وأيامُ الشبابِ والشيبِ حيزاً في نصوصِ الشاعرِ أبي الفتح البُستي ، إذْ بدا كثيرَ التذَمُّرِ والبُكاءِ واللوعةِ من ذهابِ الشباب وقدومِ المشيبِ ، حيث يقولُ(البُستي ،مصدر سابق ،ص٨١) :

دَعْ دُموعي ، يسِلْنَ سَيلاً بِدارا وضُلوعي يصلَيْنَ بالوَجـدِ نـارا

قـد أعادَ الأسى نهاريَ لَيْلاً مُـذْ أعـادَ الَمـشِيبُ لَيلي نَهــارا

تظهرُ جلياً اللوعةُ التي تنتابُ المبدعَ من ذهابِ الشبابِ وأيامهِ وقدوم المشيبِ، في حسرةٌ دائمةٌ في كلِّ السياقات الشعرية لأبي الفتح البُستي ، وقد كانَ الليل مقابلاً للشباب ، أي الظلمة تدلُ على سوادِ الرأسِ ، بينما يرمزُ النهار المضيءُ إلى الشيبِ الأبيضِ في الرأسِ .ويقولُ-أيضاً- (البُستي ،مصدر سابق ، ص٨٥) :

أنِستُ بـأيَّامِ الشَّباب ، وظِلِّها وآنسْتُ دَهــراً في جواري ، الـجَوارِيا

فلّما رأيْتَ الشَّيْبَ يبسِمُ ضاحِكاً بكَيتُ ، فأخجلْتُ الـعُيونَ الــجَوريا

فالشاعر يستذكرُ أيامَ الشبابِ والأُنسِ والمرحِ مع الجواري ، بيدَ أنَّهُ يبكي لذهابِ تلكَ الأيامِ مع ابتسامة الشيبِ في رأسهِ ، حتى خجلتْ العيونُ من شِدَّةِ بُكائهِ ولوعتهِ .وقد استعمل الشاعرُ الاستعارة من جعل الشيبِ يضحكُ في رأسهِ ، أي استعمل عنصر المحسوس للغير محسوس ولعلّ أبرز صور البيانِ هي تقديم المجرداتِ بصورٍ حسّيّة ،إذْ من شأنها أن تحقّق الوضوح والبيان، وتكونُ أشدّ تمكّناً في التعبير عن الأفكارِ و مقتضاها(الجرجاني،٢٠٠٢م ، ص٨٩ و- أيضاً- ناجي ،١٩٨٤م ، ص١٨٥) .

ومنهُ (البُستي ،مصدر سابق ،ص٢٠٦) :

دَعْني فإنَّ غَريمَ العَقلِ لازَمني
وذا زَمانُكَ فامْـرَحْ فيهِ ، لا زَمَني

ولَّى الشَّبابُ بِما أحْبَبْتُ مِنْ مِنَحٍ
والشَّيْبُ وافي بما أبغَضْتُ مِنْ مِحَنِ

فالقارئ يلاحظُ أنَّ الشباب يأتي عند أبي الفتحِ البُستي متلازماً مع المرحِ واللهو والسعادةِ ، بينما الشيِّبُ يقابلُ العذابَ والمحنَ والبؤسَ .

خامساً : الغدُ والفجرُ والربيعُ والشتاءُ :

إنَّ ألفاظ : (الغدِ والفجرِ والربيعِ)جاءتْ في نصوصِ الشاعر وأنساقهُ الإبداعية دالةُ ورمزاً على الأملِ والسعادةِ المنشودةِ والحياةِ المتألقةِ في المستقبلِ ، أمَّا لفظ (الشتاءِ) فقد كانَ دالاً على الخيبةِ والحُزنِ والفراقِ ، ومنهُ قوْلُهُ مادحاً الخليفةَ وقد وعدهُ بهديةٍ ونوالٍ في الغدِ القريبِ(البُستي ، مصدر سابق ، ص٢٤٠) :

لا زالَ في يَومٍ أغَرَّ مُبَشرٍ
بسعادَةٍ غَرّاءَ ، تـطلُـعُ في غَـدِ

وصفَ وعدَ الأميرِ باليومِ الأغرِّ المميزِ الذي يحملُ معهُ السعادةَ في الغدِ المشرقِ الوهَّاج .

وقال متأمِلاً لقاءَ محبوبتهُ بعدَ الفراقِ(البُستي ،مصدر سابق ،ص١١٧) :

وإنِّي لأرجو أن يعودَ زمـانُنا
بخَيرٍ فـمِن بَـعدِ الشّتاء رَبيعُ

يلاحظ القارئ أنَّ الربيعَ دلَّ على الأملِ الموعودِ والبهجةِ والسرورِ ، أمَّا الشتاءَ فكانَ دالاً على الألمِ والفراقِ واللوعةِ ، وكل التوظيفات –كما–نراها مؤثرة في البناءِ الجمالي والدلالي للنَّص الشعري .

وقال في الحكمةِ (البُستي ،مصدر سابق ، ص٢٤٧) :

وإذا غـنِيتَ فـلا تكُنْ بـَطِراً فـوراءَ
أيّـامِ الـغِنى فـقْرُ

وإذا افـتقرْتَ فـلا تَكُنْ جَزِعاً فـوراءَ كُلِّ دُجُنَّـةٍ فـــَجرُ

يدعو الشاعر الأغنياءَ إلى عدم التجبرِ والتسلطِ ، ويطلبُ من الفقراء أن يتصبروا ويتجلدوا على الفقرِ ، لان وراءَ هذه الظلمةِ نورٌ ساطعٌ للفجرِ يحملُ في طيَّاتهِ الخيرَ والسعادةَ والإشراقِ .ونلاحظ الدقة في بناء التراكيب والعمق في رصانةِ الأُسلوبِ والإحكامِ في نظمهِ (بدوي ،١٩٨٧م ، ص ٥٧و-أيضاً- حمدان ، ١٩٩٠ م ، ص١٢٤) .

سادساً : الحشرُ وليلةُ القدرِ والوعدُ والوعيدُ : لقد وردت في شعر أبي الفتحِ البُستي ألفاظٌ أتسمتْ بالقُدسيِّة في الاستعمال ، وتنمُّ عن عقيدةِ وفكرِ البُستي ، وهي : (يوم الحشر ، ليلة القدر ،الوعد والوعيد) ، إذْ كانت ألفاظ لها خصوصيةٌ في الاستعمال ، ومنها قوْلُهُ زاهداً وراجياً الشفاعةَ(البُستي ،مصدر سابق ،ص١٢١) :

مَـنْ كـانَ فـي الحَشرِ له شافِعٌ فليسَ لـي فـي الحَشرِ ، من شافِعِ

غيرَ النَّبيِّ السَّيِّـدِ المصطفى ثـم اعتقادي مـذهبّ الشَّافـعي

الشاعر يذكر يومَ القيامةِ وهو يومُ الحشرِ ، إذْ يعتقدُ أنَّ لا منقذْ من ذاكَ اليومِ إلاَّ الرسول الأكرم محمد(صلى الله عليه وآلهِ وسلَّم) .

ومنهُ قَوْلُهُ معاتِباً (البُستي ،مصدر سابق ،ص٧٤) :

فتحَشَّمْ ، فدَتْكَ نَفسي ، فَوعدُ الـدَّهرِ ،إنْ أنتَ لـم تَزُرْني ، وَعيـــدُ

استعملَ أبو الفتح البُستي ألفاظ (الوعد و الوعيد) والمقصودُ بالأولى الفوزُ بالجنَّةِ والثانية الدخول في النَّار والإلقاء في جهنَّم .إذْ استعملها كأدوات بيد الدَّهرِ المتسلط على رقابِ النَّاس وهنا —طبعاً-استعمال مجازي استعاري من تحويل غير المحسوس (الدهر) إلى محسوس (إنسان) متجبِّر متسلط .

وقال مفتخِراً بنفسهِ (البُستي ،مصدر سابق ،ص٢٤٩) :

أنا خافٍ ، كَليلةِ القَدْرِ في النَّاسِ
وعـالٍ كَليلَـةِ القَـدْرِ قـَدْرا

عمدَ المبدعُ –كما نلاحظ– إلى تشبيهِ وتصوير مكانته وحالتهِ كأنَّهُ ليلةَ القدرِ العظيمةِ عند المسلمين في الاختفاء والمكانةِ والمنزلةِ في عقولِ وقلوبِ النَّاس.

النتائج :

وعليهِ فإنَّ أهم النتائج التي توصلنا لها هي كالآتي :

١–إنَّ دالَ الدَّهرَ هو رمزُ الخيانةِ والألمِ الدائمِ للشاعرِ ، فهو كائنٌ متسلطٌ يرفعُ الدنيءَ والوضيع ، ويحطُّ من قدرِ الجليلِ ، وأنَّهُ متقلبٌ لا ثباتَ لهُ غدَّارُ ، وصفةُ الغدرِ متلازمةٌ فيهِ .

٢– لفظُ الزمان يحملُ كلَّ صفاتِ الدَّهرِ السيئةِ ؛ لكنَّهُ متقلبٌ في الدلالة بحسبِ الغرضِ الوارد فيهِ ، فالزمانُ جميلٌ عندما يمدحُ الخلفاءَ ، ولكنَّهُ سيءٌ عندما يتحول إلى الهجاء لا توجد فيه خاصية الثبات في الزمان كالدَّهرِ .

٣–كل الأزمنة لا تقهر الشاعر عندما يفتخرُ بنفسهِ ، فهو بطلٌ شجاعٌ صابرٌ لا يقهرُهُ الدَّهرُ أو الزمانُ أو الليالي والأيامُ .

٤–دال الليل والأيام تتنقلُ دلالياً بحسب الغرض الواردةُ فيهِ .

٥–ذكر أيام الشباب والشيب تثيرُ أوجاعَ أبي الفتح البُستي فهو دائمُ البُكاءِ والحزنِ على ذهابِ الشباب وقدوم الشيبِ .

٦–ألفاظ الغدِ والفجرِ والربيع مصادر الأملِ والسعادةِ عند الشاعرِ والخريف دالٌ على اللوعة والحزنِ والفراقِ .

٧–دوالُ الحشرِ وليلةَ القدرِ والوعدِ والوعيد تعدُّ ألفاظاً مقدَّسةً ، يتم توظيفا بناءً على الأغراضِ الواردة فيهِ .

المصادروالمراجع

١–بدوي ، د. عبدة ، (١٩٨٧م) ، دراسات في النص الشعري – عصر صدر

الإسلام وبني أمية ، ط١ ، الكويت ، منشورات ذات السلاسل .

٢-البُستيّ، أبو الفتح ، (١٩٨٩م)، ديوان شعر، تحقيق الأستاذين : دريَّة الخطيب و لُطفي الصقَّال ،سوريا ، دمشق ، مطبوعات مجمع اللغة العربية .

٣-الجرجاني(ت٤٧١ أو٤٧٤ هـ)، عبد القاهر، (٢٠٠٢م) ، أسرار البلاغة (في علم البيان) علق حواشيه:محمد رشيد رضا ، ط١، لبنان ، بيروت، دار المعارف للنشر والتوزيع .

٤- حمدان ، محمد صايل،(١٩٩٠م) ، قضايا النقد القديم ، ط١ ،الأردن ، أربد ، دار الأمل .

٥- عبد الرحمن ، نصرت، (١٩٨٢م) ، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، ط٢، الأردن ، عمان ، مكتبة الأقصى .

٦-- العلوي (ت ٣٢٢هـ)، ابن طباطبا، (١٩٨٢م)، عيار الشعر، تح : عباس عبد الساتر،ط١، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية .

٧- القيرواني ، ابن رشيق ، (١٩٧٢م) ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ،ط٤ ، لبنان ، بيروت ، دار الجيل .

٨- ناجي ، د. مجيد عبد الحميد(١٩٨٤م) ، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، لبنان ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع .

٩- ناصف ، د. مصطفى، (١٩٨٣م) ، الصورة الأدبية ، ط٣ ،لبنان ، بيروت ، دار الأندلس .

١٠- محمد ، الولي (١٩٩٠م) ، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي ، ط١ ، المغرب ، الدار البيضاء ،المركز الثقافي العربي .